

الحلقة الثامنة والأربعون

مواضيع عملية

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. ما هي أسباب ظاهرة الرفض والتمرد عند الشباب العربي؟ تحت عنوان ما يشبه ثورة على القوانين والنظام والمجتمع .. الرفض سمة الشباب والمراهقون العرب الأكثر تمرداً جاء التقرير التالي:

كتبت جوسلين الدبس في جريدة الحياة تقول: الشباب العربي يشعر برغبة في الصراخ أكثر من قبل، إنه مشحون بطاقة الرفض والتمرد. هذا جزء يسير مما ورد في دراسة صدرت أخيراً عن مركز دراسات الوحدة العربية تحت عنوان: "الشباب العربي ورؤى المستقبل". بالطبع، الشباب هو السن الطبيعية لرفض كل شيء والتمرد على القوانين والنظام والمجتمع والبيئة. إلا أن الظروف التي يعيشها الشباب العربي، من أوضاع اقتصادية سيئة وظروف اجتماعية كالشعور بالتهميش، تزيد من حدة هذا الميل.

لا، يقولها الشاب بالفم المألن قبل التفكير حتى بالطرح المترامي إليه. لا، واحدة تختصر عشرات اللآءات التي تدور في رأسه: لا، لعمر الرشد الذي يدق باب طفولته، لا، للواجبات المترتبة عليه، لا، لسلطة الأهل التي ستحاسبه على أخطائه. لا، للهموم المدرسية التي تلوح في الأفق.

لآءات كثيرة تهدر في رأس الشاب اليافع وتجعله كرة ملتهبة من الرفضية التي تكاد تتعمم على كل ما يحيط به. الرفض حال إثبات للوجود، تبدأ لدى الطفل في عمر الثالثة تقريباً حين يتعرف على كلمة لا، التي تسمح له بالتميز عن أهله، لاسيما أمه. وهو يبدأ صغيراً بعصيان الأوامر ليؤكد استقلالية شخصيته النامية، ويستمر في لآءاته إلى ما بعد عمر المراهقة. كلمة لا، تتحول سيقاً حاداً بين يديه يقضي بواسطته على كل ما يشكل تهديداً لاستقلاله. وتساعده بقوة في ثورته المراهقة التي تجعله يرفض كل شيء تقريباً من دون استثناء.

يتوجه رفض المراهق أولاً وأخيراً إلى السلطة الأعلى منه التي تقيد تصرفاته، أكان في العائلة أم المدرسة أم حتى الدولة. فهو يرفض الانصياع لكل القرارات العائلية التي يعتبرها تعسفية، لأنها تحد من حرية تصرفه. كما يرفض ترتيب غرفته لأنه هو حر

في شأنها. ويرفض المراهق ارتداء ملابس لا تمت إلى الذوق بصلة. ويرفض قص شعره أو الظهور بمظهر لائق. أما في المدرسة فيقرر السخرية من الأستاذ خلال الحصة الدراسية. ولا مانع لديه إن طُرد من الصف لأنه سيثبت لرفاقه أن شخصيته قوية. أما لا الموجهة إلى الدولة فتتضمن رفض كل القوانين التي يعتبرها جائرة بحق الشباب، وعلى رأسها تحديد سن الرشد بالثامنة عشرة وكل ما يمت إلى قوانين السير بصلة، ولاسيما منحه رخصة السوق في ذلك العمر.

تجد جذور كلمة لا، في عدم الرضا النفسي والداخلي الذي يشعر به المراهق. فهو يشعر بالانزعاج ولا يعرف السبب، من دون أن يدرك أن السبب هو بالتأكيد التبدلات الهرمونية التي تتفاعل في جسمه اليافع، وأيضا إلى صراع الأجيال الحتمي بين الأهل والأولاد. والمراهق، أكان ذكراً أم أنثى، يأبى أن يطلب أي توضيحات عن قلقه أو هواجسه، خوفاً من كشف نقاط ضعفه. خصوصاً أنه يشعر بأنه ليس موضع ثقة من أي جهة خارجية أو عائلية. ويرفض تلقائياً كل ما يكون غير مبرر وغير مقبول منطقياً.

مستمعي العزيز، الرفض إذن هو السمة الغالبة على الشباب والمراهقين. والرفض يعبر عن عدم الرضا النفسي الذي يشعر به المراهق كما سمعنا من التقرير. وهذه المرحلة التي يمر بها الإنسان هي تطور طبيعي يحصل في جسمه ودليل على النمو، ويعبر عن صراع الأجيال الحتمي. لكن هذا لا يمنعنا من أن نبحث في هذا الموضوع الهام، الذي يواجهه كل شاب وشابة وأن نحاول الحد من نتائجه السلبية. إن الأمر الهام الذي تجاهله التقرير أن في مرحلة الشباب والمراهقة تكمن أيضاً طاقات ونواح إيجابية كثيرة.

فالشباب يتحلّى بالشجاعة والحماس والإخلاص، وتعلم كل أمر جديد، والانفتاح على العالم المحيط به والتأقلم معه. لهذا من الضروري أن نستفيد من هذه المزايا الإيجابية الموجودة عند الشباب، لكي ننميها في الاتجاه الصحيح، وليس الاتجاه السلبي. فالشجاعة قد تُستخدم لأهداف غير صحيحة، وكذا الحماس والإخلاص قد يُصبا في المكان غير المناسب. وكذلك تعلم كل أمر جديد، قد يفتح المجال للشباب لكي يتعلم كل ما هو فاسد وشرير. وحتى سمة الرفض نستطيع تحويلها من رفض سلبي إلى رفض إيجابي بناء ومفيد.

هل تعلم يا صديقي أنه يوجد فرق كبير بين الشاب المؤمن بالمسيح الذي اختبر نعمة الله في حياته وبين الشاب غير المؤمن؟ فالشاب المؤمن يستطيع الاستفادة من كل هذه الطاقات الطبيعية التي منحه إياها الله لكي يضعها في الاتجاه الصحيح. كتب سليمان الحكيم في سفر الجامعة قائلاً: "فاذكر خالقك في أيام شبابك قبل أن تأتي أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول ليس لي فيها سرور." (جامعة ١:١٢) من المهم جداً أن يذكر الإنسان خالقه في أيام شبابه، أي يؤمن بالمخلص المسيح، وتكون له علاقة مع الله خالقه.

ولنلاحظ قول سليمان الحكيم أن على الشاب أن يذكر خالقه في أيام شبابه، لأنه يستطيع أن يصب في هذه المرحلة كل طاقاته الهائلة التي يتحلّى بها في الجانب الإيجابي. بينما إذا انتظر بعد عمر طويل، فإن طاقاته تكون قد خبت، ولم يعد له هناك أي مجال يذكر في هذا المجال. وهو ما عبّر عنه هنا سليمان الحكيم بقوله: "قبل أن تأتي أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول ليس لي فيها سرور." أي على الشاب أن يرجع إلى الله خالقه قبل أن يجد نفسه عاجزاً عن القيام بأي دور إيجابي بناء، بسبب فقدانه لكل الطاقات التي كان يتحلّى بها.

قد تكون أنت مستمعي، أحد هؤلاء المراهقين الذين يرفضون القبول بالكثير من الأشياء، ويحاولون التمرد على كل السلطات العليا. لكنك في نفس الوقت تملك الكثير من الطاقات التي تستطيع أن تستخدمها في الطريق الصحيح. لهذا عليك أن تذكر خالقك في أيام شبابك كما نصح سليمان الحكيم. فهل تراك تذكر خالقك وتأتي إلى الله مؤمناً بالمخلص المسيح؟ الذي وحده يستطيع أن يحررك من عبودية الخطيئة والعادات الفاسدة، ويحوّل طاقاتك الكامنة كشباب ويضعها في الطريق الصحيح.

أجل، إن سمة الشباب الرئيسية هي الرفض وعلى كل الأصعدة، لكن في الشباب تكمن طاقات هائلة نستطيع تحويلها في الاتجاه الصحيح، إذا عرف الشاب كيف يوجهها في الطريق الصحيح. فهل تذكر خالقك يا صديقي في أيام شبابك؟